الخطأ.. وسر الألم

الألم ناتج عن فراغ ما.. إما في الجسد أو في النفس

الألم صراع بين العناصر الإيجابية والسلبية داخل الكيان البشري

لماذا نتألم؟

هذا السؤال الواقعي كان ومازال مثار جدل الفلاسفة ورجال الفكر والدين، وعدد غير قليل من علماء النفس، طوال أجيال وعهود مديدة.

لماذا نتألم؟

سؤال يطرحه أيضا كل إنسان.. فكم من مرة تساءلنا عن سببه أثناء المرض، وكم من مرة بعد طرح هذا السؤال شعرنا وكأننا نحيد عن طريق الإيمان بالله، أو نعصي المشيئة الإلهية. فصمتنا على مضض مخافة الاتهام بالكفر. أو بعصيان القانون الرباني.

لكن أليس من حقنا أن نعرف لماذا نتألم؟

أجل من حقك أن تعرف هكذا يجيبونك، ويضيفون :لكن الإنسان العادي غير مؤهل لكشف غوامض موضوع معقد كهذا، أو لإدراك حقيقة لا يعرفها سوى الاختصاصيين في شؤون الدين، فهم وحدهم الذين يملكون الإجابة لماذا نتألم؟

طرحنا السؤال على رجل دين، فكانت إجابته بما معناه أن السبب هو الخطيئة الأولى، خطيئة والدنا آدم التي ارتكبها في جنة عدن.. كما جاء في الكتب السماوية. إذ أنه حكم على الإنسان أن يحيا بالألم، بعد خروجه من الجنة.. لأنه خالف مشيئة الله حين تذوق من الشجرة المحرمة.

وها هو إنسان اليوم لا يزال مذاق مرارة تلك الثمرة يلازمه حتى اليوم يتألم منذ بدء الخليقة بسبب الخطيئة الأولى، ألا وهي مخالفة أوامر الخالق.

قد يقبل البعض بهذا التعليل سببا لألامهم فيما يرفضه البعض الآخر مدافعا من منطلق العدل الإلهي متسائلا: كيف يمكن للبشرية بكاملها أن تكفر عن خطيئة الإنسان الأول؟ لعل هناك سببا منطقيا خافيا جعل بني البشر يعانون من الألم طويلا ومريرا.

إذا ما أحلنا السؤال ذاته على الفلاسفة، اتخمونا بنظريات وافرة متباينة بعضها يناقض البعض الآخر، والبعض يتفق وإياه.. ومن بين هذه النظريات ما يتوافق وقصة الخطيئة الأولى.. ومنها ما يقول بأن الخطيئة طبيعة بشرية لا يمكن تجاوزها أو تجاهلها.. وهناك من يشرح ذلك بقانون السبب والنتيجة، من دون أن يقدم تفسيرا منطقيا، أو شرحا وافيا لهذا القانون.. فيما يذهب بعض الفلاسفة المتدينين إلى حد الجزم بأن المشيئة الإلهية لا تناقش أو ترفض.. فهي أشبه بضريبة الخلق.

أما علم النفس فله نظريته الخاصة بهذا الصدد، إذ يعزو السبب إلى الشعور الأولى بعقدة الذنب، أو الخطيئة التي يولد بها الإنسان. ففي لاوعيه يكمن شعور بالذنب، أو بالإثم منذ الولادة. . يستعصي على علم النفس شرحه أو تعليله.

النظريات والإجابة المنطقية

وتكثر النظريات والآراء حول الموضوع من دون التوصل إلى جواب منطقي مقنع. علما بأن المرء يتحسس شيئا من الصواب في كل من النظريات والإجابات التي وردت لكن طلاب المعرفة يستشفون وجود حلقة ناقصة تبعدهم عن الحقيقة. فما هي هذه الحلقة.

إذا ما طرحنا السؤال نفسه، لماذا نتألم؟ على الأيزوتيريك نراه يرفض رفضا قاطعا تقصي الموضوع في ضوء الأطروحات السابقة. . معللا ذلك بأن المنطق السليم يفرض الانطلاق من البداية الأولى، من الأصل، أصل الإنسان للوصول إلى النتيجة.. لا الاستفسار عن النتيجة لنصل إلى السبب فتلك وسيلة خاطئة وغير منطقية، تبدد الوقت والمجهود وتؤدي بالباحث إلى متاهات من التنظير والتعليل الفلسفي تبتعد عن الموضوع المراد بحثه.

يجب أن نبحث في الماضي أولا ليتوضح الحاضر فندرك المستقبل.. لا أن نستفسر عن الحاضر ونتعمق فيه ثم ننطلق بطريقة تراجعية إلى الماضي. هذا ما يؤكده لنا الايزوتيريك في ضوء علوم باطن الإنسان ومعرفتها بتاريخ الإنسان منذ وجوده على الأرض.. شارحا ذلك بأن السبب هو الذي يوجد النتيجة، وإن أدركنا السبب توضحت النتائج جميعها، مهما اختلفت وتباينت.

فبدلا من أن نسأل لماذا نتألم.. يضيف الايزوتيريك لنستفسر أولا عن ماهية الألم. . أي ماهو ذلك الشعور الذي يزعجنا لعلنا بذلك نتلمس طريقنا إلى الحقيقة.

يعرف الأيزوتيريك الألم بأنه إحساس أو شعور مزعج ينتج إما عن دخول جسم خارجي غريب إلى الجسد أو النفس، وإما عن نشوء فراغ في الجسد أو النفس.

إذا يقسم الأيزوتيريك الألم إلى نوعين:

النوع الأول سببه خارجي

والنوع الثاني سببه داخلي

النوع الأول يصيب الجسد كما يصيب النفس لأن السبب كما ذكرنا هو دخول أو تأثير جسم خارجي على الكيان بطريقة سلبية.. الأمر الذي يولد نوعا من تصادم وعدم تجانس بين الداخل والخارج فينشأ الألم.

مثال على ذلك إن كل ضغط خارجي شديد على أية ناحية من أنحاء الجسد، يولد الألم، كما أن دخول أي جسم غريب إلى الجسد كالجراثيم مثلا يؤدي إلى الألم..

من جهة أخرى، إن أي مؤثرات نفسية سلبية تسبب الألم النفسي.. كتأثير ذبذبات الحزن أو الكآبة، التي تخترق الجسم الأثيري لتتوغل في الجسم الكوكبي جسم المشاعر والأحاسيس فقد يشعر المرء بكآبة أو بقلق، أو بضغط نفسي معين إذا ما وجد ضمن مجموعة من الناس تعاني من الكآبة، أو الخوف، أو الحزن. . فذبذباتهم النفسية تخترق كيانه لتؤثر في مشاعره (جسمه الكوكبي) وتضعه في حالة أو بالتحديد ضمن هالة من الألم النفسي.

أما النوع الثاني من الألم فهو ناجم عن فراغ ما.. إما في الجسد أو في النفس.

الصداع مثلا ليس سوى وجود ذبذبات فارغة من الحيوية في الرأس.. أو شرايين دقيقة لا يصلها الدم بشكل طبيعي، أو جفت من الدم، أيضا، إذا ما فرغت المعدة كليا من الطعام يشعر المرء بضيق ناجم عن نقص..

أما في النفس، فشعور بالفراغ النفسي يسبب الألم!

يتعمق الايزوتيريك في تحليل أسباب الآلام النفسية، ليتقصى ما خفي من وقائع، وليكشف النقاب عما زال غامضا على علم النفس.. فيشرح:

إن معظم الآلام النفسية ناجمة عن وجود ذبذبات سلبية في النفس، تتفاعل وتتصادم مع الذبذبات الإيجابية، فتحاول هذه الأخيرة احتواء الأولى أو إخراجها من الكيان بعد القضاء عليها.. لأن الذبذبات الإيجابية أقوى، ولا تتلاشى خلافا للذبذبات السلبية الضعيفة والفانية. نتيجة لذلك، ينشأ نوع من الصراع بين الطرفين، صراع لأجل البقاء.. والغلبة دوما للذبذبات الإيجابية التي تخرج السلبية من الكيان، فتخلف مكانها فراغا هذا الفراغ يحدث ألما نفسيا مؤقتا، ريثما تتمدد الذبذبات الإيجابية وتملأ الفراغ.

لتبسيط الموضوع، يقدم الايزوتيريك المثال التالي:

إذا ما جرح أحدهم، ودخلت جرثومة ما إلى الجرح، وتسببت في التهابه، سرعان ما تتضافر الكريات البيضاء في الدم لمحاربة هذه الجرثومة المتمثلة بالذبذبات السلبية، لأنها فعلا وجود سلبي، أثناء الصراع بين الكريات البيضاء والجرثومة، يحس الجريح بالوجع في موضع الجرح، إلى أن يتم القضاء على الجرثومة علما بأن الوجع سيخف تدريجا مع التئام الجرح، أي مع تمدد الذبذبات الإيجابية واستعادة مكانها إثر غياب الوجود السلبي!

الآلام النفسية

إن الأمر نفسه ينطبق على الآلام النفسية فإذا ما شعر المرء بحزن إثر فقدان قريب أو حبيب، يبدأ الصراع بين المشاعر الإيجابية والعقل من جهة وبين الشعور بالحزن من جهة أخرى.. ويستمر الألم حتى تتغلب المشاعر الإيجابية على السلبية، وحتى تعود المشاعر الإيجابية إلى طبيعتها الأولى، وتتعايش مع الواقع.

إذا، ينشأ الألم نتيجة صراع، بل هو شعور الصراع بين ما هو إيجابي وما هو سلبي في النفس أو في الجسد، والغلبة دوما للإيجابي، لأن ما من ألم استمر مدى العمر - إلا في حالات نادرة جدا يقضي بها قانون العدل الإلهي، قانون الثواب والعقاب!

وبناء على أن الألم هو صراع بين العناصر الإيجابية والسلبية في الكيان، ومن منطلق تحديد سبب الألم أنه وجود أو دخول عنصر سلبي إلى الكيان، نعود إلى طرح السؤال الأول :لماذا نتألم؟ فيأتي الجواب في شقين. شق ظاهري وشق خفي:

الشق الظاهري، يتألم المرء بسبب دخول العناصر السلبية إلى كيانه، فتسبب له الألم.

والشق الخفي، وجود سبب باطني للآلام في حياة الإنسان.

هنا، يعود بنا الايزوتيريك إلى البداية، إلى الماضي السحيق، ماضي الإنسان الواعي على الأرض، أو إنسان تلك القارة المفقودة قارة الاتلانتس (Atlantis) خلال عصور ما قبل الطوفان.. الذي استفاق التاريخ الحديث، ولو متأخرا للتحدث عنه، عن حضارته الأكثر إشراقا وإنجازاته التقنية الرائعة، وتطوره العلمي الباهر قبل التاريخ المدون.. قبل التقهقر الحضاري والعودة بالإنسان إلى الصفر، إلى إنسان العصر الحجري - ذرية ما بعد الطوفان!

إبان عهود تلك الحضارة التي لم يشهد لها العالم مثيلا بعد، على صعيد إنجازات علمية وتقنية تترافق ومقدرات باطنية على درجة عالية من التطور، إبان تلك الأزمان، ارتكب الخطأ الأول - الخطيئة الأصلية التي تحدثت عنها الأديان على اختلافها، وروتها الأساطير من دون شروحات وافية توضح مفهوم تلك الخطيئة الأم، ولم تكن تلك الخطيئة سوى دخول ذبذبات سلبية قوية إلى أعماق الكيان البشري، الأمر الذي تسبب بالآلام التي ما زالت ترافق الإنسان حتى يوما هذا، جراء الصراع بين العوامل الإيجابية والسلبية داخل نفسه، والسبب في استمرار الألم هو عدم تغلب الصفات الإيجابية على الصفات السلبية في النفس البشرية، ولابد للآلام من أن تستمر حتى تتم الغلبة في النهاية، ولا تتحقق الغلبة إلا عن طريق الوعي.

سوء استخدام الإنسان لطاقاته

ويكشف لنا الايزوتيريك عن ماهية الخطيئة الأصلية، ويفسرها بأنها سوء استعمال الإنسان لطاقاته الباطنية، لمقدراته العقلية، ولصفاته الإنسانية.. أي تلك القدرات الجبارة التي توصلت شعوب الاتلانتس إلى تفتيحها في باطنهم، والعمل بها للارتقاء بنفوسهم.. والتي أتاحت لهم السبيل لانجازات علمية وتقنية لم تشهد لها البشرية مثيلا على جميع الأصعدة - حسبنما نشر عن توصلات علماء الاتلانتس!

شهد سكان الاتلانتس عصرا ذهبيا من التطور، ازدهرت فيه حضارتهم حتى بلغت أوجها. لكن العيش في تلك الجنة الأرضية لم يدم إلى الأبد ! وكان الإنسان، عندما ينعم بكل شيء، يشعر بنفسه مكتفيا بما توصل إليه، متكاسلا متراخيا عن عمل أي شيء. فبدلا من أن يتوجه إنسان الاتلانتس إلى خالقه ليشكره على نعمه، ويتقرب منه ويتعرف إليه عن كثب، استعدادا للعودة إليه واعيا وفقا للمنهج الإلهي للارتقاء .. شرد عن درب الحق، وطمع في

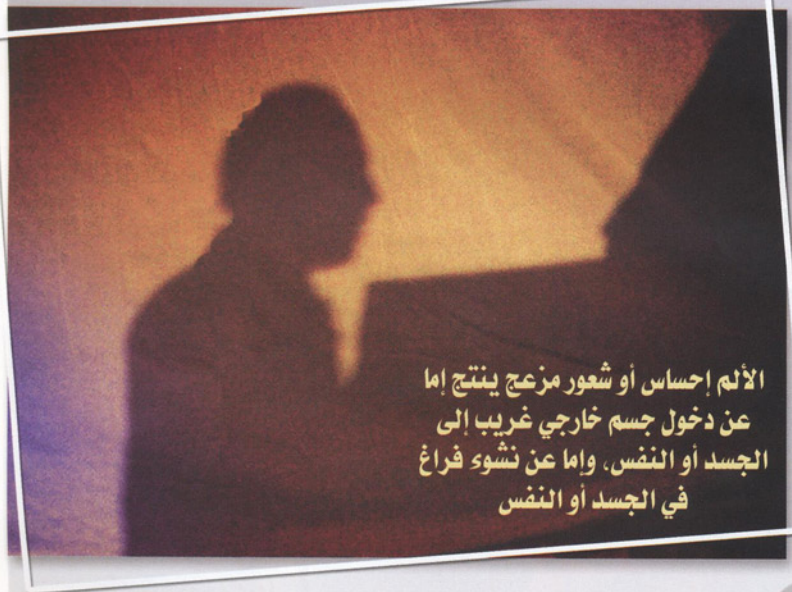

ما يملكه أخوه الإنسان.. وكانت تلك بداية العد العكسي والتقهقر على كل صعيد، لقد تذوق الثمرة المحرمة أي استعمل مقدراته الروحية والباطنية في مجالات سلبية مادية، ولمآرب شخصية وفردية، ولخدمة أهداف أنانية فطرد من الجنة، لقد عمل السواد الأعظم من تلك الشعوب على تحقيق رغباتهم كما يحلو لهم دونما حسيب أو رقيب.. وانغمسوا في الملذات الأرضية والشهوات المادية بواسطة تلك المقدرات العقلية، قرونا وأجيالا طويلة في تحقيقها، وامتلاك أسرارها والتحكم فيها، وفي العناصر الطبيعية، وفي مكونات المادة.

بداية الصراعات

وبدأت الصراعات في ما بينهم وقتل قابيل شقيقه هابيل وتحولت تلك الصراعات إلى حروب وسيطرت الأفكار والمشاعر السلبية تلك، على المنطق الإيجابي السليم لدى تلك الشعوب الغفيرة (خلافا لمشيئة الخالق)، ولدت صراعا داخليا في الإنسان، صراعا بين ذاته الروحية التي ارتقت بمشاعره إلى مستوى سام من التطور الباطني كاد أن

أليست الأمراض المستعصية المتفاقمة يوماً بعد يوم، والكوارث الطبيعية والحروب والأوبئة، والجهل والمجاعات، والصراعات وكثير سواها.. هي الآلام التي زج الإنسان نفسه فيها نتيجة جهله السابق

يبلغ المدى الإنساني، وبين النفس البشرية الدنيا التي تحوي الأحاسيس والنزوات الأرضية، والتي أعادت السواد الأعظم من تلك الشعوب، إثر دمار تلك القارة وغرقها (بعد الطوفان)، إلى حضيض الوعي. لقد خلعت الإنسان عن عرش الوعي السامي وألقت به في غياهب اللاوعي الموحشة. فعاد الإنسان إلى الصفر، إلى الإنسان البدائي الأقرب إلى الصفات الحيوانية - ذرية ما بعد الطوفان!

هذا هو المفهوم الجوهري للخطأ الأول أو الخطيئة الأصلية، وسر الألم المستديم حسبما يفيدنا الإيزوتيريك استناداً إلى مراجع علوم باطن الإنسان.

السبب الحقيقي للألم

إذاً.. سبب الألم هو أصلا شعور بالصراع بين الذات الروحية والنفس البشرة في الإنسان.. صراع بدأ منذ أواخر عهد قارة أتلانتس، وما زال مستمراً حتى يومنا هذا، وسيستمر إلى أن يرتدع الإنسان عن غية، ويعي نفسه، ويعود إلى رشده!

والدليل الثابت على صحة ما جاء هو غياب شعور الألم في إنسان ما قبل أتلانتس (إنسان قارة ليموريا أو مو) الذي كان لا يزال في طور التشكيل. فإنسان ما قبل أتلانتس لم يكن يعي نفسه بعد. وعي واستوى إلى ما صار عليه الآن مع بداية عصر قارة أتلانتس، كما تخبرنا علوم باطن الإنسان.

بعبارة أخرى ولد الألم منذ أن حاد الإنسان عن المسار الإلهي، في أوج ازدهار حضرة أتلانتس، وتلك كانت الخطيئة الأم، الخطيئة الأصلية التي صورتها الأساطير وتحدثت عنها الأديان بلغة الرموز.. والتي تتمحور كلها حول عصيان أوامر الخالق!

والآن إن نحينا أفكارنا المسبقة عن الخطيئة الأصلية والألم جانباً، وتفكرنا منطقياً كطلاب وعي يسعون إلى معرفة الحقيقة في ضوء المعطيات المتوافرة.

- أليست الخطيئة، أو الأعمال السلبية المنافية لكل قانون، التي اقترفتها أول الشعوب الواعية على الأرض، سكان أتلانتس.. هي عصيان المشيئة الإلهية التي أتت على ذكرها الكتب السماوية والمخطوطات المقدسة عند الشعوب كافة؟!

- أليس التخلي عن المراتب السامية من التطور الذاتي التي وصلت إليها شعوب أتلانتس، سعياً وراء المطامع، وإشباعاً للنزوات المادية والأنانية، هو الخروج من جنة عدن - أو جنة الوعي؟!

- أو ليس الألم الذي حكم به الله على ذرية آدم وحواء، هو الألم عينه الذي حكم به الإنسان على نفسه، نتيجة ما اقترفه من آثام بحق ذاته الروحية الإلهية.. وما زال ذلك الألم يعصف بالبشر، أجيالاً بعد أجيال، وحيوات بعد حيوات.. وما زالت البشرية، بوجه عام، تتخبط في دياجير اللاوعي، وحبائل الشهوات المبتذلة، وحول المادة الداكنة؟!

- أليست الأمراض المستعصية المتفاقمة يوماً بعد يوم، والكوارث الطبيعية والبشرية، إضافة إلى الحروب والأوبئة، والجهل، والتخلف، والمجاعة، والصراعات، والنزاعات، وكثير سواها.. هي الآلام التي زج الإنسان نفسه فيها نتيجة جهله السابق في عصر قارة أتلانتس؟!

- ألم يحن الوقت بعد ليستفق الإنسان من عمق لا وعي ماضية المظلم، ويكف عن التساؤل عن سبب ألمه؟! أليس الأجدر به البحث عن المسار الذي يوصله إلى حيث لا ألم.. بدلاً من تساؤله المتكرر عن سبب الألم؟!

بلى، الوقت قد حان.. هذا ما يجيب به الأيزوتيريك، إذ هو يمهد أمام الجميع المسار الصحيح الذي يؤدي إلى الوعي، إلى حيث لا ألم! لأن الوعي والألم لا يجتمعان.. فمتى وعي الإنسان، تلاشى ألمه. فالألم ليس إلا لتوعية الإنسان إلى كوامن لا وعيه إذا ما رفض حقيقة ذاته!

متى انتهج الإنسان درب الوعي، تحول الألم إلى شعور سام، إلى مسعى في سبيل الوصول. عندها لن يعود الألم عذاباً، بل سيكون أشبه بمعاناة تسلق الجبل لبلوغ القمة - قمة الوعي والمعرفة والمحبة، هدف الإنسان على الأرض!

ويذهب بنا الأيزوتيريك إلى آفاق بعيدة إذ يقول: إن العصور التي ستشهدها الأرض مستقبلاً، بدءاً من عصر إنسانية الإنسان، عصر النور والمعرفة، سيتلاشى فيها الألم ليحل مكانه الوعي، والغبطة الدائمة.

فليتبارك كل من ساهم في تنفيذ مخطط الوعي، ونشر التوعية بين البشر، لأنه سيرتفع فوق الألم، ويحيا في سعادة دائمة!